بزعمه - في نهيه: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ ﴿٢١﴾﴾[1]!.

أقول: لم يكن آدم عليه السلام في هذا المسرح ليتّهم ربه بالغش والخداع ومعاذ الله! ولو كان متّهمه هكذا لكان أنكى من أكل الشجرة وأردى، فلماذا لم يخصه التنديد أو يعمهما، وإنما خصه بأكل الشجرة ليس إلّا، مما يبرهن أن سبيله في ذنبه لم يكن أعظم من ذنبه: أن يتهم الله بالإغواء والخداع، ويصدق إبليس في النصيحة ولا سمح الله!.

وإنما غره أن ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ وما كان يظن أن خلقاً خلقه الله يحلف كاذباً بالله وكما يروى عنه في حوار له مع جبريل عليه السلام[2]: «فاغتره عدوّه نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الأبرار، فباع اليقين بشكّه، والعزيمة بوهنه، واستبدل بالجزل (الفرح) وجلاً، وبالاغترار مذماً، ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقّاه كلمة رحمته، ووعده المرد إلى جنته فأهبطه إلى دار البلية وتناسل الذرية»[3].

فقد حلّ بين غرورين ووقع بين محظورين: غرور بما قاسمهما وهو لا يظن أن أحداً يقسم بالله كاذباً، وغرور بما وعده دار المقام في جنة الله بمرافقة الأبرار، ومن ثم محظور سابق من نهي الله، وآخر في غروريه: لعل

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٢) نور الثقلين ١: ٦١ عن تفسير علي بن إبراهيم في القصة، فنزل عليه جبرئيل فقال: يا آدم! ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته؟ قال: بلى - قال: وأمرك أن لا تأكل من الشجرة فلِمَ عصيته؟! قال: يا جبرئيل! إن إبليس حلف لي بالله أنه لي ناصح وما ظننت أن خلقاً خلقه الله يحلف بالله كاذباً!. وفي تفسير البرهان ١: ٨٣ عن ابن بابويه القمي في حديث مجلس الرضا عليه السلام والمأمون قال فيه: ولم يكن آدم وحوا شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً «فدلاهما بغرور فأكلا منها ثقة بيمينه بالله..».

(٣) نهج البلاغة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

الله نسخ ما نهى وفسخ ما عهد «فباع اليقين» بنهي الله «بشكّه» في نهي الله «والعزيمة على الثبات على عهد الله» بوهنه - ﴿فَنَسِيَ﴾ عهد الله ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ يعصمه من معصية الله «فأهبطه الله إلى دار البلية وتناسل الذرية» ثم ولم ينتجبه كولي عزم من أنبيائه الذين حافظوا على عهد الله واعتزموا عصاماً دائباً وسياجاً على حرمات الله قبل اصطفائهم برسالات الله وبعدها، وهم سادة المرسلين الذين دارت عليهم الرحى وآدم في درجة من درجات الرسالات بعد ما عصى وأهبط!.

هكذا يأتي الشيطان غروراً كلّ إنسان أو جان بغراره ومسلكه، فآدم الخليفة المعلّم الأسماء، ليس ليُستضل بالشهوات أو مربع السياجات الشيطانية، اللهم إلّا يُمنة: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾[1] فقد جاء آدم عليه السلام عن يمينه، عن طريق دينه: ألّا يمكن الحلف كاذباً بالله، ولا سيّما في وعد المقام في دار كرامة الله! ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ﴾[2] كهذا، بدلوٍ يتعلق هو به! وحب الشيء يعمي ويصم، وهذه أوّل تجربة توقعه في فخ العصيان دونما تعمد أو طغيان.

وعلى أكثر تقدير تذرع بعصيانٍ ما إلى البقاء في دار القرب والكرامة لورود الاحتمال أن الله نهاه عن أكل الشجرة: وعلّها الخلد! - تبعيداً له عن ساحة قربه ولمّا يصل إلى أهليته، وقاسمه الشيطان على مقالته، فرجح عصياناً على حدته - ودون تعمد وطغيان - على بعده الدائب لو خرج عن جنته - عن جوار الرحمة وجناب العظمة.

كعبد ينهاه مولاه عن المقام بجواره، فيغترُّ بما يُغر أن يعصيه هيماناً

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

للمقام بجواره، فليس إذاً هو البعيد البعيد في خطئه، مهما كان خاطئاً في تصرفه، حيث العبودية اللائقة بجنابه تعالى هي المطلقة الشاملة عزماً وعملاً صالحاً، لا يحول بينه وبين طاعته أي غرور وإن كان في محبته.

ولقد كان ابتلاء آدم وزوجه شديداً بهكذا غرور، لا سيما وكما يروى - ابتعدت حرس الشجرة عنها حيث اقترباها، بعدما كانت تحرسها قبله، فظنا أن الله تعالى رفع حظره فأبعد حرسه!

فمستهلّ هذه المعركة المصيرية بين آدم وإبليس يوقظ النابهين أن يحذروا الشيطان الرجيم، حيث يحتال بمختلف الحيل في خطواته المضللة، فليكن الإنسان كله بصراً وبصيرة، كي لا يقع في فخه كما وقع الأبوان الأولان، تجربة مُرة مَرّتَ بهما، فحذار حذار لولدهما وكما تتردد في إذاعات قرآنية: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[1].

٦ - كيف استطاع إبليس أن يزلهما وهو خارج الجنة إذ أمر بالهبوط قبله؟

في الحق إن إبليس إذ أزلهما كان في الجنة بين أمرين بهبوطه: أمر يخصه إذ أبى عن السجود لآدم واستكبر: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[2].

ومن ثم أمر يعمّه وأبوينا: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣.

مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[١] ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.. ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ﴾ مهما أُمرا - هما بأمر آخر يخصهما: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾[٢].

فأمر الهبوط الجماعي هناك دليل أن إبليس كان بعدُ في الجنة، أن عصى ربه في أمره الأول، ولكنما الثاني كان نافذاً لم يقدر ولم يقدرا أن يعصوه، إذاً فالأول أمر تشريعي، والثاني يعمه والتكويني أن أهبطهم من الجنة، مهما كان ذلك للشيطان دحراً دائباً، ولأبوينا هبوطاً آئباً إلى دار الخلد والكرامة!.

ثم ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾ في جماعيّ الأمر ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ﴾ تأشير إلى العداوة الدائبة بين الشيطان وبين الإنسان، فما هي العداوة بين بعض في ثنائي الأمر: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾؟

هل هي العداوة بين قبيلي الأناثى والذكران من بني الإنسان، أم نسل الإنسان ككل حيث التثنية تخرج الشيطان، ولا مباعضة بين الإنسان والشيطان حتى تعمهما هنا المباغضة؟.

أم إنها بين الإنسان والشيطان طالما الشيطان غير مذكور هنا ولكنه مذكور هناك، ولا تعني المباعضة المجانسة، وإنما مباعضة في هذا الجمع العصيان، أو الجمع الذي يجوز عليه ككل العصيان، فثنائية الأمر وجماعيته تعنيان العداوة الدائبة بين قبيلي الإنسان والشيطان.

أو أنها - وبالأحرى - تعنيهما جميعاً، فآية الجمع تعني عداوة الجمع، بين الشيطان وبينهما، وآية التثنية تعني - فقط - ما بينهما كخليفة الأرض

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٤.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٣.

جميعاً، فحياة الأرض الضيقة العناء الشقاء، هي حياة العداء بين بني الإنسان، كما بين الإنسان والشيطان: ازدواجية العداء التي تتوحد في إغراءات الشيطان، فقد يأتيك بنفسه أو خيله ورجله من ذوي جنسه، وقد يأتيك بذوي جنسك: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾[١] حيث ينزغون بيننا: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾[٢] ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

٧ - «ما هو لباسهما وسوءاتهما المواراة قبل العصيان»؟

طبعاً إنه من ملابس الجنة، ولقد ووري عنهما سوءاتهما بلباسهما ثم بدت بما ذاقا الشجرة: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾[٤].

وقد توحي الآيات في اللباس المواري للسوءات - وقد بدت بما ذاقا الشجرة - أنهما ما بدت لهما سوءاتهما منذ خلقا لحدّ الآن، مما يوحي أنهما ألبسا من لباس الجنة منذ خلقا دون انتخاب أو محاولة منهما، حيث اللباس يلبس السوء، فقبل أن تبدو السوءة لا دافع لمواراتها بلباس.

أو أن كلّاً كان عارفاً بسوءته هو، دون الآخر، فلما نزع عنهما لباسهما عرف كل سوءة الآخر فأحسا بشهوة الجنس بما عرفا، فلولا المعرفة الثانية لما أحسّا شهوة الجنس.

إلّا أن ﴿مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾[٥] توحي بلطف أن المواراة كانت عنهما في أنفسهما وكما بالنسبة لبعض، أن الله أوراها تحت لباس الجنة،

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.

حتى إذا أبرزا سوءاتهما في أرواحهما بما عصيا، برزت لهما سوءاتهما في أجسامهما، ليعلما أنهما بعد عائشان سوءات على سوءات، فلا يليقان حياة الجنة.

فلم يكن لهما في هذا المسرح إلّا العصيان والمواراة الثانية للسوءات ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾[1] وأما لبس لباس الجنة، وأما نزعها، فلا شيء منهما كان منهما، وإنما اللبس منذ البداية لمواراة السوءة فلا يعرفاها فيسوءاها لكرامة الجنة ولباس الخلافة، ثم النزع في النهاية ليعرفاها فيسوءاها ويعلما أنهما على سوء وإلى سوء إلّا أن يتبعا الهدى!.

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾:

٨ – وما هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ومتى تلقاها؟

إن الكلمات هي كلمات التوبة وقد تلقاها آدم بين أمرين جماعيين بالهبوط: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

فقد تلقى آدم كلمات من ربه بعد العصيان وقبل الهبوط، وتاب الله عليه كذلك قبل الهبوط، فلم تكن التوبة بالتي تنفعه في البقاء في الجنة، اللّهم إلّا غفراً عن ذنبه فلا يعذب في دار الخلد، وأما الدنيا ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ إنها دار عمل دون جزاء، كما الآخرة دار جزاء ولا عمل.

ولأن اجتباءه بما تاب عليه وهدى كان في الجنة وقبل الهبوط ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا . . .﴿١٢٣﴾﴾[١] فلتكن بداية نبوءته في الجنة وإن كانت رسالته باتساع نبوءته بعد الهبوط عن الجنة: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا . . . فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾[٢] فهنالك له هدى واجتباء قبل الهبوط، علّهما النبوءة دون رسالة، وهنا هدى عامة بعد الهبوط هي الرسالة بعد اتساع النبوءة -.

إذاً فترتيب القصة: أكل من الشجرة، فتلقي كلمات التوبة، فنبوءة، فهبوط فتوبة فرسالة، ولكنما النبوءة تنافي العصيان وقد عصى! إلّا أنها كانت بعد التوبة.

وترى أنها كانت كلمات الاعتذار التوبة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ ﴿٢٤﴾﴾[٣] فتلقى كلمات التوبة، وهذه الكلمات كان قبل الهبوط وبعد الأمر الأول بالهبوط، أفلا يدل هذا القرآن أنها هي تلك الكلمات؟.

أقول: إنها كانت قبل الأمر بالهبوط ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾[٤] . . . ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ﴾[٥] وتلقي الكلمات هو بعد الأمر الأول وقبل الثاني الذي بعده الهبوط، والترتيب حسب مختلف الآيات، العصيان - ربنا ظلمنا - الأمر بالهبوط - تلقي الكلمات - الأمر الثاني بالهبوط، كما وتلمح ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ بعد ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ أن آدم تاب إلى الله قبلها بقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ﴾[٦] فلم يتب الله عليه حتى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ . . . مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ أخرى ﴿فَتَابَ

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢٢ - ١٢٣.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٣.
(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

عَلَيْهِ﴾. كما وتوحي ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾[١] دون «اغفر لنا» أنها ما كانت لتكفي في المغفرة فتلقّى كلمات غيرها بعدها تشفعها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

ثم وقد لا تحتاج هذه الكلمات ﴿رَبَّنَا﴾ إلى تلقّ من الله، حيث الندامة بعد المعصية وظهور السوأة هي التي تدفع مثل آدم الخليفة أن يردد هذه الكلمات دون نظرة لتلقّيها من ربه، وقد لا تكفي - كذلك - توبة من الله عليه وإن صحت توبة منه إلى الله، والنص ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ الله، دون «تاب إليه» آدم إلى الله إذاً فهذه الكلمات مشفوعة بأخرى وهي شفيعة له في قبول التوبة، وعلّها هي هي الأسماء التي علّمها، أسماء الخلفاء الذين احتج الله بهم على الملائكة في هذه الخلافة فليكونوا هم الرعيل الأعلى بينهم، لا كأمثال آدم، إذ لا تنفع شفاعة ممن هو مثله في كيانه، إلّا من هو فوقه وفوق العالمين كمحمد ﷺ وآله المعصومين عليهم السلام: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٢].

والتلقّي هو التلقن، أخذاً للكلام على تفهُّم لما يعنيه، إذاً فهذا التلقي يحمل تعريفاً بأصحاب هذه الكلمات الأسماء، أكثر مما حمله تعليمه بها، ولأن ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣] ثم ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[٤] يحمل جواباً مقنعاً للملائكة عن قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾[٥] فليكن الأسماء هم هؤلاء الرعيل الأعلى أنهم هم الخلفاء، أو أن فيهم من يكافح العصاة والعصيان، إذاً فهم أولاء الأكارم الذين بهم يتوب الله على من

(١) سورة طه، الآية: ٢٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

يتوب، وفيهم الكفاح عمن لا يتوب أم لا يتوب عليه الله، ولا نعرف أجدر أو بهذه الجدارة من أهل بيت الرسالة المحمدية ﷺ![1].

(١) الدر المنثور ١: ٥٨ - أخرج الطبراني في المعجم الصغير والحاكم وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن عساكر عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ: «لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحق محمد إلّا غفرت لي فأوحى إليه ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلّا الله محمد رسول الله ﷺ فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى إليه يا آدم! إنه آخر النبيين من ذريتك ولولا هو ما خلقتك». وفيه أخرج ابن البخاري عن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ: عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت علي فتاب عليه ورواه مثله في ملحقات الإحقاق ج ١٤: ١٤٨ العلامة ابن المغازلي الشافعي في المناقب ص ٣٩ نسخة مكتبة صنعاء باليمن - بإسناد متصل عن ابن عباس عن النبي ﷺ. وأخرج مثله العلامة النطنزي في الخصائص.

وفيه ٣: ٧٦ وممن أخرجه العلامة البيهقي في دلائل النبوة على ما في اللوامع ١: ١٢٥ روي عن عمر بن الخطاب قال آدم اسألك بحق محمد وآله إلّا غفرت لي - إلى قوله -: ولولا هو ما خلقتك، ورواه مثله ابن عساكر في مسنديه على ما في اللوامع ١: ٢١٥.

وفيه أخرج الديلمي في مسند الفردوس بسند رواه عن علي عليه السلام قال: سألت النبي ﷺ عن قول الله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾؟ فقال - بعدما ساق القصة - قال: فعليك بهؤلاء الكلمات فإن الله قابل توبتك وغافر ذنبك قلّ اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا إله إلّا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا إله إلّا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم، فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم ومن طريق أهل البيت عليهم السلام أخرج الشيخ الطبرسي في الاحتجاج عن معمر بن راشد قال سألت أبا عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ: إن آدم لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم بحق محمد وآله محمد لما غفرت لي فغفر الله له أقول: وأخرج الصدوق مثله في معاني الأخبار بإسناده إلى أبي سعيد المدائني يرفعه اليه، وأخرج في الخصال عن المفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤] ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال: يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت علي فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم، وفي ملحقات الإحقاق ٣: ٧٨ عن المولى معين الكاشفي في معارج النبوة ركن ٣=

وتوبة العبد إلى الله، المقبولة، محفوفة بتوبتين من الله عليه: توبة أولى ليتوب: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[١] وثانية هي قبول توبته حيث التوبة هي علم وحال وعمل، وكل ذلك بحاجة إلى توفيق من الله، ولا يوفق إلّا من أراده وحاول له، ثم لا يقبلها إلّا إذا أتى بها على وجهها، وتلقي الكلمات هو تعليم له كيف يتوب بتوفيق منه، وتلقّن لها علماً وحالاً وعملاً ﴿فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾.

فهذا التلقي يحمل إلقاءً من الله تعليماً وتوفيقاً للحال والعمل، وتقبلاً من آدم إذ تحولت حاله وعمله ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾!

فالعلم اليقين بالخطأ وبمقام الرب نور، يؤجج نار الندم في القلب، فيبعث اللسان والأعضاء إلى التلافي، وهذا المثلث هو التوبة الصالحة، وأهمه قاعدته المتوسطة بين العلم والعمل وهي الندامة وكما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الندم توبة».

ولكي ينجو الإنسان من فخاخ الشيطان فعليه أن يكون دائب التوبة حتى يرجع في هذه المعركة الدائبة بالخسار على الشيطان وقد سأل رجلٌ علياً أمير المؤمنين عليه السلام: عن الرجل يذنب ثم يستغفر ثم يذنب ثم يستغفر فقال أمير المؤمنين عليه السلام يستغفر أبداً حتى يكون الشيطان هو الخاسر فيقول: لا طاقة لي معه وقال: كلما قدرت أن تطرحه في ورطة وتتخلص منها فافعل[٢].

= ص ٩ عن الصادق عليه السلام في حديث أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه: يا محمود ويا علي الأعلى ويا فاطم ويا محسن ويا منك الإحسان بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين أن تغفر لي وتقبل توبتي ورواه مثله القندوزي البلخي في ينابيع المودة ص ٩٧.

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٣: ٢٢ في المسألة الثامنة.